

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الوساطة بين الدكتور طه والأستاذ المازني — عناصر المجهوم —
كلمة الدكتور طه — حل الألفاظ — غمزات الدكتور طه —
الدكتور طه في الأعمال الحكومية والأدبية — المازني ضحية
الأدب ، ولكنه لن يضيع — كلمة صريحة إلى الدكتور طه حين

الوساطة بين الدكتور طه والأستاذ المازني

لم يعد القراء يلتفتون إلى ما يقع في الجرائد اليومية من
المصاولات الأدبية ، فقد صنعت أزمة الورق ما صنعت في صد
الجرائد عن الآداب والفنون ، وبهذا أصبح مجال الأدب مقصوراً
على المجلات الأدبية ، فمن الخير أن نحدث قراء الرسالة عما يفوتهم
الاطلاع عليه ، مما يقع من الصيال الأدبي فوق صفحات الجرائد
اليومية من حين إلى حين .

وكلمة اليوم في شرح مناوشة عنيفة ثارت بين الدكتور طه
والأستاذ المازني على صفحات جريدة البلاغ ، وهي مناوشة تمثل
التجني والتظالم على أعنف ما يكون بين الرجل على الرجل .
وسنقف من هذه المناوشة موقف القاضي العادل ، فقد ساءنا أن
يتقارض هذان الرجلان الظلم والعدوان بلا ترفق ولا استبقاء ،
بعد أن ظلّا صديقين حيناً من الزمان .

والذي يهمني من هذه السكامة هو أولاً تسجيل حادثة أدبية
لا ينبغي أن تضيع . وهو ثانياً إنصاف رجلين عزيزين على الأدب
وقد بنى كلاهما على أخيه بتخامل وإسراف . وهو ثالثاً توضيح
لألفاظ ساقها الدكتور طه بك مع اعترافه بأن فهمها لا يتيسر
لأكثر القراء .

وأصل القضية أن الأستاذ عزيز بك أباطة مدير البحيرة أصدر
مجموعة شعرية سماها « أنات حائرة » مع تصدير بقلم الدكتور
طه حسين . فلما بدا للأستاذ إبراهيم المازني أن يتحدث عن تلك
المجموعة بدأ بالمجهوم على صاحب التصدير ، فغضب الدكتور طه
وكتب ردّاً أراد به دفع العدوان بما هو أقسى من العدوان
ولأنجل أن يدرك القراء حيثيات الحكم في هذه القضية

أسوق إليهم كلمات الخصمين قبل الشروع في الحساب
قال الأستاذ المازني بعد التمهيد :

« وتوكلت على الله فقرأت التصدير الذي كتبه الدكتور
طه حسين بك فقلت لنفسى : لا حول ولا قوة إلا بالله ! هذا
طه حسين يخسر الأدب ولا تكسبه الحكومة ، لما خلق لها
بل للأدب . وإنه ليضيع نفسه في هذه المناصب التي تشغله
وتستنفد جهده ووقته ، فإذا كتب جاء بماذا ؟ جاء بمثل هذا
الكلام الذي لا محصول وراءه ، ولا أعرف له رأساً من ذنب .
فلماذا لا يستقيل ويربح نفسه من هذا العناء الباطل ويتفرغ
للأدب ؟ ماذا يفتنه من هذا المَرَضِ الرائل والذي أهمل أو
ترك أبقى ؟ كيف يستطيع بالله أن يواظب على التحصيل وتغذية
عقله ونفسه — وهو ما لا غنى بأديب عنه — وكيف يتسنى له
التجويد حين يكتب وهو مشغول في ليله ونهاره بهذا الذي
لا آخر له من شؤون الوظيفة واللجان وما إليها ... وهو يتولى
أعمالاً كل واحد منها كاف للارهاق : فن جامعة فاروق إلى
منصب المستشار الفني لوزارة المعارف إلى عشرات من اللجان
يشارك فيها وتأتي له كرامته أن يكون صفرًا ، ولو اقتصر على
الجامعة لكان خيراً ، ولو نفّض بده من هذا كله لكان أفضل »

عناصر المجهوم

وخلاصة هذه الكلمة :

١ — أن الدكتور طه خسر الأدب ولم تكسبه الحكومة ،
ومعنى ذلك أنه يتولى عملاً لم يُخلَق له . وسنرى كيف تار
الدكتور طه على هذه العبارة وعدّها تحدياً لقدرة على الأعمال
الحكومية

٢ — وأن الدكتور يضيع نفسه في مناصب تشغله وتستنفد
جهده ووقته ، فإذا كتب جاء بكلام لا محصول من وراءه
ولا يُعرف له رأس من ذنب

٣ — وأن الأفضل للدكتور طه أن يستقيل ويربح نفسه
من العناء الباطل (وهو عمله في الحكومة) ويتفرغ للأدب

٤ — وأنه لا يمكن للدكتور طه أن يزود نفسه بالتحصيل ،
أو يتفرغ للتجويد حين يكتب وهو مشغول ليله ونهاره بأعمال
كل واحد منها كاف للارهاق .

كلمة الدكتور طه

هل الالفاز

وجه الدكتور كلمته إلى صاحب البلاغ ثم قال بعد التهيد :
« أؤكد للأستاذ المازني أني آسف أشد الأسف لأن
الأستاذ عزيز أباطة لم يطلب إليه هو كتابة هذا التصدير ، إذن
لكان له المحصول كل المحصول ، وكان له رأس كقمة الجبل
سود نيب كالذي خوف به النجمون المتصم حين هم بفتح عمورية .
وآسف أشد الأسف لأن الحكومة لم تسكل إلى الأستاذ عملي
في وزارة المعارف وفي جامعة فاروق ، إذن لكسبه الحكومة
والأدب جميعاً . والأستاذ المازني يعرف أن لأبي العلاء قصة
مع الشريف المرتضى ، وأظنه يلحظ لي في أن أسرق من هذه
القصة شيئاً ، فالسرقة في الأدب مباحة ، ولا سيما حين تكون
في العنان لا في السر ، وهي حينئذ أشبه بالسطو . ولست أسرق
من قصة أبي العلاء ، أو لست أسطو منها إلا بمقدار . فأنا أرجو
أن يقرأ الأستاذ سورة الفلق ، وأن يقرأ مطولة ليبد ومطولة
طرفة وعينية سويد بن أبي كاهل التي مطلعها :

بسطت رابعة الجبل لنا فبسطنا الجبل منها ما اتسع
ورائية الأخطل التي مطلعها :

ألا يا أسلمى يا هند هند بني بدر وإن كان حيّاً ناعداً آخر الدهر
ولامية المتنبّي التي مطلعها :

بقائى شاء ليس هم ارتجالاً وحسن الصبر زُموا لا الجمالا
وسيقول القراء إنّي ألغز هذا الكلام ، ولكنني أعتذر إليهم ،

فإني لا أكتب لهم وإنما أكتب للأستاذ المازني . وأنا أسلك
في ذلك طريقة الأستاذ نفسه ؛ فمن الحق أنهم لم يفهموا عنه
ما قال أمس ، لأنهم لم يقرأوا التصدير الذي لا محصول وراءه
والذي لا رأس له ولا ذنب ... وأحجب إلى بأن أستقيل وأفرغ
للأدب ، ولكنني أود أن أستيغن قبل ذلك بأن الحكومة ستضع
الأستاذ المازني مكاناً لئلا يكتب كلاماً كالذي أكتبه أم
يكتب كلاماً خيراً منه ... أما بعد فأنا ضامن للقراء إحدى
الحسينين : فإما أن يسكت الأستاذ المازني فيستريح من هذا
السخف الذي نحن فيه ، وإما أن يكتب الأستاذ المازني فيجدوا
شيئاً يرفه عليهم من هذا التقيط المهلك ، ويقرأوا كلاماً له الرموس
كل الرموس ، والأذنان كل الأذنان »

ونسارع فنذكر أن الإشارة إلى سورة الفلق منصبّة
على آية « ومن شر حاسد إذا حسد » وأن الإشارة إلى مطولة
ليبد تنجّه إلى هذين البيتين :

فانفع بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علاّمها
وإذا الأمانة قسمت في ممشر أوفى بأعظم حفظاً قسماًها
وأنه يريد من مطولة طرفة هذان البيتان :

فلو كنت وغلاً في الرجال لضرني عداوة ذي الأصحاب والتوحد
ولكن نفي عن الأعداء جرأتى عليهم وإقداى وصدق ومحدثى
ومن عينية سويد أشار الدكتور طه إلى هذين البيتين :

رُبّ من أنضجت غيظاً قلبه قد تمنّى لي موتاً لم يُطع
ويرانى كالشجا في حلقه عسراً مخرجهُ ما يُنزع
وأراد من رائية الأخطل هذين البيتين :

تنق بلائى شيوخ محارب وماخلها كانت تريض ولا تبرى
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر
ومن لامية المتنبّي أراد هذين البيتين :

أرى المتشاعرين غروا بذي ومن ذا يحمل الداء المصلاً
ومن بك ذافم مريض مريض يجد مراً به الماء الزلالا
وما أردت تبليغ هذه التعارض إلى الأستاذ المازني ، وإنما

أردت منقعة القراء ، والشر يتسم بالخير في بعض الأحيان !

غمرات الدكتور طه

١ - كان يستطيع أن يقول إنه « يستعير » قصة أبي العلاء
مع الشريف ، و « يستعير » هي اللفظة المطلوبة في هذا الموقع ،
ولكنه قال إنه « يسرق » ليندد بالأستاذ المازني . ولم يكتف
بذلك ، بل جعل سرقة علنية ، وهي « حينئذ أشبه بالسطو »
كما قال

٢ - صور الأستاذ المازني بصورة الحاسد لمن كتب
تصدير الديوان

٣ - وصورة بصورة من يعجز عن عمل الاستشار الفنى
بوزارة المعارف ، ومن يعجز عن إدارة جامعة فاروق

الدكتور طه في الأعمال الحكومية والادبية

لقد فصلنا الخصومة بين الرجلين بوضوح ، ولم يبق إلا أن

المازني ضحية الأدب ، ولكنه لم يفسح

من التقاليد الموروثة بعصر احترام الوظائف والموظفين ، وقد كان الآباء في عهد الفراغة يوصون أبناءهم بطاعة الرؤساء ، ويحذرونهم على تنفيذ الأوامر بلا اعتراض ، ليظفروا من مناصب الدولة بأكر نصيب

وأنا لا أرى في هذا شيئاً من الذلة في طلب المجد ، كما رأى بعض الناس ، وإنما أراه شاهداً على أصالة المصريين من الوجهة النظامية ، فطاعة المردوس للرئيس يوجبها نظام الأعمال إذا حسنت النيات وزال معنى الخضوع المقوت

واحترام الوظيفة في مصر له أصل ، فقد كانت الوظائف من أنصبة الأغنياء والأقوياء ، وكان مفهوماً أن الرجل لا يظفر بوظيفة إلا إن كانت له عصبية تحميه من الكائدين ، أو تميته على تحقيق السيطرة في الإقليم الذي يشرف عليه بأي صورة من صور الإشراف

ونحن اليوم نخضع لتلك التقاليد خضوعاً يعترف به القلب وإن أنكره اللسان ، فمن السهل أن يسأل سائل عن مكانة الأستاذ المازني في الدواوين الحكومية ، وكان قبل ثلاثين سنة أستاذاً في مدرسة من كبريات المدارس الثانوية ، ومن زملائه من وصل إلى مكانة تضيفه إلى المحسودين بين كبار الموظفين ، فاذا صنع المازني بنفسه حتى تخلف هذا التخلف وحتى صار من حق أي إنسان أن يقول له : داعب هذا المنصب إن كنت تستطيع ؟

حظ المازني يظهر واضحاً إن تذكرنا ما صار إليه ناصحه الأمين ، وهو الأستاذ عبد الفتاح صبرى وكيل المدرسة السعيدية ، يوم كان المازني أستاذاً بالسعيدية ، فقد خضع الأستاذ عبد الفتاح صبرى للأنظمة الإدارية خضوعاً وصل به إلى أرفع منصب في وزارة المعارف ، وثار المازني على الأنظمة الإدارية ثورة وصلت به إلى العيش من سنان القلم في الجرائد والمجلات

فما النتيجة وما الغاية في حياة هذا وذاك ؟

مات عبد الفتاح باشا صبرى ميتة الغريب ، فلم تتركه وزارة المعارف ، ولم يحزن عليه مخلوق ، ولن يذكر بنير الملام إن تسامح معه التاريخ !

نكف قمر الأستاذ المازني عن الدكتور طه ، وشر الدكتور عن الأستاذ المازني ، لأننا نكره أن تختل الموازين في هذه البلاد وإذ كان الأستاذ المازني هو البادى بالظلم فأنا أبدأ بالدفاع عن الدكتور طه ، والمهجوم عليه ذو شُعب : فهو تارة أديب أصابع نفسه بالأعمال الحكومية ، وتارة موظف لا يُحسن إدارة الأعمال ، وتارة حائر لا يهتدى إلى ساحل الأمان

وأشهد أن الدكتور طه من أقدر الرجال على إدارة الأعمال الحكومية ، فما تولى عملاً إلا أقبل عليه بهمة وقوة ، ولا سما إلى مطلب إلا وصل إليه بأيسر أو أعسر بمجهود . والدكتور طه مثال نادر من أمثلة البراعة في الشؤون الإدارية ، وهو مفظور على سرعة التصرف ، وأخطائه القليلة أو الكثيرة لا تقاس إلى صوابه الملحوظ في الابتكارات الديوانية

وما الذي يمنع من الحكم بأن الدكتور طه دفع عن رجال الأدب قالة من أسوأ القالات ، فقد مرّت أزمان والناس يتوهمون أن رجال الأدب لا يصلحون للأعمال الإدارية ، وكان من أثر هذا التوهم أن لم تر لأحدهم مكاناً في المناصب العالية من الوجهة الرسمية ، فجاء نجاح الدكتور طه رداً حاسماً على أوهم أولئك التوهمين وكذلك يقال في تولى الدكتور طه إدارة جامعة فاروق ، فذلك مغم عظيم لرجال اللغة العربية ، وكانت الحكومة لا تسلك إلى أحد منهم إدارة مدرسة ابتدائية . وهل ننسى أن مدرسة دار العلوم ظلت آمداً طويلاً تحت نظارة رجال من غير أبنائها ، مع أن فيهم كثيراً من الأكفاء ؟

ويسرني أن تشهد البواكير بأن الدكتور طه سيفلح في إدارة جامعة فاروق ، كما أفلح من قبل في إدارة كلية الآداب بجامعة فؤاد ، وكما أفلح في أعماله بوزارة المعارف

أما قول الأستاذ المازني بأن شواغل الدكتور طه نصرته عن تزويد عقله بالمطالعات والمراجعات فهو قول صحيح ، ولكنه لا يؤذي الدكتور طه في شيء ، لأن الدكتور طه قد اختار لنفسه أن يكون من رجال الدولة لا من رجال الأدب ، وهو لن يزاحم أحداً من الباحثين ، ولن يقول إنه أوحده الناس في جميع الفنون ، فما يجوز لمن يكون في مثل حصافته أن يتنامى أن الأستاذية في الأدب توجب الانقطاع إلى الأدب ، وتفرض الخلوة إلى النفس ساعات من كل يوم ، وذلك لا يتيسر لمن تكون الأعمال الإدارية عتاهه بالنهار وهمه بالليل .